البشرى للعاجزين عن الحج والعمرة بأعمالٍ بديلة مُيَسَّرة

2023-06-16

الحمد لله الذي أتمّ على المسلمين المنّة. وأكمل عليهم النعمة. فسار بفريق منهم إلى بيته الحرام حاجّين. ثم جعل آخَرين منهم في ديارهم مقيمين. حَبَسهم العذر. يعيشون مع الحجّاج بالرُّوح والفِكر. يشاركونهم في الأجر. بأعمالٍ بديلة ليس فيها عُسر. فضلاً من الله ومنّة. والله ذو الفضل العظيم. فاللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ شُكْرًا. وَلَكَ الْمَنُّ فَضْلاً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. فطر قلوب عباده على حبّ بيته الحرام. ومَنْ لم يستطع حجّه. لم يتركه حائرا حزينا بين الأنام. بل شرع له على يديْ نبيّه عليه الصلاة والسلام. أعمالا إن هو قام بها بالإمتثال والإستسلام. واستحضار النيّة بالداوم. كُتِب له أجر الحاجّ والمعتمِر فضلا من الله ذي الطَّوْل والإنعام.

يا أمّةً لنبيٍّ نورُه سطعَا * وعَزّ مِقدارُه في المجد وارتفعَا

إن شئتمُ تَظفَروا بالفضل والمِنَن * وتَسْلَموا من جميع البؤس والْمِحَنِ

صلّوا على مَن أتى بالفرض والسُّننِ

اللهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. وعلى الطيّبين الطاهرين أهل بيته. وعلى الغرّ المحجّلين صحابته. صلاة تدخلنا بها في زمرة أحبابه. وتجعلنا يا ربّنا في مثل هذه الأيّام من الواقفين على أعتابه. ومتّع اللهمّ عيوننا بالنّظر إلى جميل طلعته. واجعلنا في الآخرة ممّن يحظى بشفاعته. ويُكرم بجواره مع خالص أحبّته. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربَّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. فَشَرِيعَتُنَا مُيَسَّرَةٌ وَحَنِيفِيَّتُنَا سَمْحَةٌ؛ قال تعالى في سورة الْحَجِّ: ((هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ))؛ بَلْ جَعَلَهَا الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ مُتَنَاسِبَةً مَعَ أَحْوَالِ الْمُكَلَّفِينَ؛ وَمُتَنَاغِمَةً مَعَ ظُرُوفِهِمْ؛ فَمَنْ لَا يَسَعُهُ هَذَا الْعَمَلُ يُمْكِنُهُ فِعْلُ ذَاكَ، وَمَنْ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ هَذِهِ الطَّاعَةِ يُسِّرَ لَهُ غَيْرَهَا، وَمَنْ

أُغْلِقَ عَلْيهِ فِي هَذِهِ فُتِحَ لَهُ أُخْرَى. ولَمْ يَقِفِ التَّيْسِيرُ عِنْدَ هَذَا؛ بَلْ جَعَلَ سبحانه مِنْ أَحْكَامِهَا مَا يَسْقُطُ عِنْدَ الْعَجْزِ بِقِيَامِهِ؛ وَخَفَّفَ بَعْضَهَا عِنْدَ وُجُودِ الضَّرُورَةِ مَعَهُ، كَمَا وَضَعَ بَدَائِلَ أُخْرَى وَخِيَارَاتٍ تَقُومُ مَقَامَهَا؛ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. ها قد أظلَّنا موسم الحج العظيم، وامتلأت بالحجيج جنبات الحرميْن الشريفيْن، تصديقاً لدعوة سيّدنا إبراهيم عليه السلام، أن تهوي أفئدة الناس إلى هذا البيت فقال: ((فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)). قال ابن عباس رضي الله عنهما: (ولو قال فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم؛ لحَجّته اليهود والنصارى). وكذلك استجابة لأمْر الله تعالى حيث قال في سورة الحج: ((وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ)). لذا فما زال بيت الله في النفوس معظَّماً، ولا زالت مواكب المشتاقين، والمعظِّمين على مرّ السنين تحُجُّه، وتتحرّك وجداً وشوقاً إليه. قال تعالى في سورة البقرة: ((وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا)). أيْ مرجعاً يثوبون إليه لحصول منافعهم الدينية والدنيوية، يتردَّدون إليه لا يقضون منه الوَطَر. فهنيئاً لهم نعمةَ الله عليهم، وهنيئاً لمن كتبه الله مع الوفد المفلحين؛ دعاهم فأجابوا، وقرَّبهم ليُكرمهم، وأدخلهم في عملٍ هو عنده مِن أحب الأعمال. ليُحسن عُقباهم في الحال والمآل. ونسأله تعالى ألا يحرمنا وإياكم فضله، فإنّ الله يُعطي الدنيا لمن يُحب ولمن لا يُحب، ولا يُعطي حب الطاعات، والأُنس بها، والشوق إليها إلا مَن يُحب. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. وَلَمَّا كَانَتْ مَكَّةُ بِهَذِهِ الْقُدْسِيَّةِ وَالرَّمْزِيَّةِ، وَالْحَجُّ بِهَذَا الْأَجْرِ وَأَعْمَالُهُ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ؛ فلَا غَرَابَةَ إِنْ تَاقَتْ إِلَيْهِ نُفُوسٌ وَاشْتَاقَتْ لَهُ قُلُوبٌ، وَحَنَّتْ أَفْئِدَةٌ لِتِلْكَ الْبِقَاعِ الطَّاهِرَةِ لِحَجِّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ؛ وَالتَّنَقُّلِ بَيْنَ مَشَاعِرِهِ وَأَدَاءِ مَنَاسِكِهِ وَالطَّوَافِ فِي حَرَمِهِ؛ لَكِنْ لَمَّا كَانَتْ إِرَادَةُ الْعَبْدِ مِنْ إِرَادَةِ اللَّهِ؛ وَالتَّوْفِيقُ مِنْهُ سبحانه؛ وَفَّقَ الْكَرِيمُ لِبَيْتِهِ أَقْوَامًا وَجَعَلَ ظُرُوفًا تَحُولُ دُونَ آخَرِينَ؛ وَلَيْسَ شَرْطَاً أَنَّ مَنْ حَجَّ أَفْضَلَ مِمَّنْ لَمْ يَحُجَّ؛ لَكِنَّهَا التَّوْفِيقَاتُ الْإِلَهِيَّةُ وَالْكَرَائِمُ الرَّبَّانِيَّةُ يَهَبُهَا لِمَنْ يَشَاءُ؛ كما قال تعالى في سورة القصص: ((وَرَبُّكَ يَخْلُقُ

مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ))؛ وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْمَحْرُومِينَ الَّذِينَ مَنَعَتْهُمُ الظُّرُوفُ وَأَقْعَدَتْهُمُ الْأَسْبَابُ دُونَ حَجِّ بَيْتِهِ الْعَتِيقِ؛ وَرُوحَانِيَّةِ تِلْكَ الْبِقَاعِ الْمُقَدَّسَةِ؛ وَاسْتِنْشَاقِ أَجْوَائِهَا الْإِيمَانِيَّةِ؛ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ أَحْبَابَهُ يُكَابِدُونَ الْأَشْوَاقَ وَيَعِيشُونَ الْحَنِينَ؛ فَقَدْ جَبَرَ اللَّهُ مُصَابَهُمْ وَعَوَّضَهُمْ بِأَعْمَالٍ تُسَاوِي أُجُورَ حُجَّاجِهِ وَمُعْتَمِرِيهِ؛ بَلْ وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا أَجْرُ حَجَّةٍ أَوْ عُمْرَةٍ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. كما في صحيح ابن خزيمة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. من حديث جوابه صلى الله عليه وسلم عن سؤال المرأة: ((ما يعدلُ حجةً معكَ؟ قال: أَقرِئْها منّي السلامَ ورحمةَ اللهِ، وأخبِرْها أنّها تعدلُ حجّةً معي عمرةٌ في رمضان)). وَهَذَا يُشْعِرُنَا أَوَّلًا بِجَمَالِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ وَيُسْرِ أَحْكَامِهَا، وَيَلْفِتُنَا إِلَى كَرَمِ الْمُشَرِّعِ سُبْحَانَهُ، وَرَحْمَةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ تَقْدِيرًا لِأَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ هَامُوا شَوْقًا فِي لِقَائِهِ؛ وَسَهِرُوا حُبًّا فِي قُرْبِهِ؛ وَمُرَاعَاةً لِشُعُورِهِمْ وَجَبْرًا لِخَوَاطِرِهِمْ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. وَلَئِنْ فَاتَ الْمُسْلِمَ مَوْسِمُ الْحَجِّ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ فَمَجَالُ النِّيَّاتِ أَنْفَعُ أَثَرًا وَأَبْلَغُ فَضْلًا مِنْ مَجَالِ الْأَعْمَالِ وَأَوْسَعُ، وَفَضْلُهَا لَا يَنْقُصُ عَنْ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ في سورة النساء: ((وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ))؛ وَمِنْ حَدِيثِ مُسْلِمٌ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا، أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ))؛ وَفي الْبُخَارِيُّ عَنْهُ أَيْضاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ: إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ))؛ فَيَا لَهَا مِنْ بُشْرَى زَفَّتْهَا هَذِهِ النُّصُوصُ؛ حَيْثُ دَلَّتْ دَلَالَةً وَاضِحَةً فِي مَعَانٍ صَرِيحَةً أَنَّ الْعَبْدَ يُدْرِكُ مَقَامَاتٍ عَالِيَةً وَمَنَازِلَ رَفِيعَةً فِي الْجَنَّةِ بِنِيَّتِهِ إِذَا صَدَقَتْ وَصَلُحَتْ؛ فَرَحْمَةُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَفَضْلُهُ وَاسِعٌ. وَفي التَّرْغِيبِ والترهيب مِنْ حَدِيثِ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ:

عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا؛ فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ))؛ وَخُلَاصَةُ الْقَوْلِ: أَنَّ النِّيَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ، وَنِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ وَأَبْلَغُ، وَأَنَّ مَنْ حَالَ دُونَ طَاعَتِهِ مِنْ صَلَاةٍ وَصِيَامٍ؛ وَصَدَقَةٍ وَصِيَامٍ؛ وَحَجٍّ وَجِهَادٍ وَغَيْرِهِ؛ مَانِعٌ شَرْعِيٌّ فَأَجْرُهُ مَكْتُوبٌ، وَثَوَابُهُ مَحْسُوبٌ؛ وَذَلِكَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. لَئِنْ كَانَ الْحَجُّ رِبَاطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ عَلَى صِفَةٍ مَخْصُوصَةٍ بِأَفْعَالٍ مَخْصُوصَةٍ؛ فَلِلْمُسْلِمِ أَنْ يَتَحَيَّنَ مِنْ عُمْرِهِ أَوْقَاتٍ مَخْصُوصَةً يَحْبِسُ نَفْسَهُ فِيهَا رِبَاطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ كَالْمُكْثِ فِي الْمَسْجِدِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، أَوْ بَعْدَ فَرِيضَةِ الْفَجْرِ حَتَّى الشُّرُوقِ؛ فقد روى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ))؛ وَمَنْ فَاتَهُ تَلْبِيَةُ الْمُحْرِمِينَ، وَتَكْبِيرُ الْحُجَّاجِ وَالْمُعْتَمِرِينَ فِي فِجَاجِ مَكَّةَ وَمَشَاعِرِهَا الْمُقَدَّسَةِ؛ فَنُصُوصُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاضِحَةُ التَّوْجِيهِ بَيِّنَةُ الدَّلَالَةِ فِي حَثِّ الْمُسْلِمِ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ في سورة النساء: ((فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ))، وَكَمْ رَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْفَضْلِ الْكَبِيرِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ؛ قال تعالى في سورة الأحزاب: ((وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا))، وَلَمَّا نَعَتَ سبحانه أُولِي الْأَلْبَابِ كَانَتْ أَوَّلُ صِفَةٍ فِيهِمْ أَنَّهُمْ كما وصفهم في سورة آل عمران: ((يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))، وَبَيَّنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْمُفَرِّدِينَ أَسْبَقُ النَّاسِ أَعْمَالًا وَأَعْظَمُهُمْ أُجُورًا، وَلَا يَأْتِي أَحَدٌ بِمِثْلِهِمْ إِلَّا رَجُلٌ فَعَلَ فِعْلَهُمْ أَوْ وَزَادَ عَلَى ذَلِكَ؛ روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ

يَسِيرُ في طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ علَى جَبَلٍ يُقَالُ له: جُمْدَانُ، فَقالَ: سِيرُوا، هذا جُمْدَانُ، سَبَقَ المُفَرِّدُونَ، قالوا: وَما المُفَرِّدُونَ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ))، قال المُناوي في فيض القدير: سبق المفرِّدون أي المنفردون المعتزلون عن الناس، من فرد إذا اعتزل وتخلّى للعبادة، فكأنه أفرد نفسه بالتبتّل إلى الله، أي سبقوا بنيل الزلفى، والعروج إلى الدرجات العلى. وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:((أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ!؟ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ)). أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. وَلَئِنْ فَاتَكُمُ الْوُفُودُ عَلَى اللهِ فِي بَيْتِهِ، فَالْأَرْضُ أَرْضُهُ، وَالْمَسَاجِدُ بُيُوتُهُ، وَكُلُّ مَكَانٍ يُذْكَرُ اللَّهُ فِيهِ وَيُعْبَدُ وَيُعَظَّمُ فَهُوَ بَيْتُ اللَّهِ، وَمَا سِوَاهُ بُيُوتُ الشَّيَاطِينِ؛ قال تعالى في سورة النور: ((فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)). وَإِنْ فَاتَكُمُ الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ؛ فَطَوَافُكُمْ عَلَى جِيرَانِكُمْ وَزِيَارَتُكُمْ لِأَرْحَامِكُمْ وَمَرْضَاكُمْ وَتَفَقُّدُ أَحْوَالِهِمْ وَقَضَاءُ حَوَائِجِهِمْ وَالْمُشَارَكَةُ فِي مُنَاسَبَاتِهِمْ أَفْرَاحًا وَأَتْرَاحًا مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا؛ ففي الترغيب والترهيب عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَلِلْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَلِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ)). وَلَئِنْ فَاتَكُمُ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَاءِ وَالْمَرْوَةِ؛ فَذَهَابُكُمْ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ وَسَعْيُكُمْ إِلَيْهَا لَا يَقِلُّ أَجْرًا عَنِ الْحَاجِّ أَوِ الْمُعْتَمِرِ؛ وَفي الترغيب والترهيب قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ وَهُوَ مُتَطَهِّرٌ، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْحَاجِّ الْمُحْرِمِ، وَمَنْ مَشَى إِلَى تَسْبِيحِ الضُّحَى، فَأَجْرُهُ كَأَجْرِ الْمُعْتَمِرِ))، وَفي مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ)). وَمَنْ فَاتَهُ الْمَبِيتُ بِمِنًى ذَاكِرًا لِلَّهِ فِيهَا مُنْتَظِرًا لِرَمْيِ جِمَارِهَا، وَمُزْدَلِفَةَ انْتِظَارًا لِإِسْفَارِهَا ثُمَّ الْإِفَاضَةِ مِنْهَا؛ فَإِنَّ

مَبِيتَ الْمُسْلِمِ لَيْلَهُ بَاكِيًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، أَوْ حَارِسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مِنْ أَعْظَمِ مَا يَقِي بِهِ الْعَبْدُ نَفْسَهُ مِنَ النَّارِ؛ فَفِي الترمذي من حَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: ((عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)). أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. وَلَئِنْ فَاتَكُمْ رَمْيُ الْجِمَارِ تَعَبُّدًا لِلَّهِ بِآثَارِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ بِرَمْيِهِ الشَّيْطَانَ هُنَاكَ؛ فَقَرِينُكَ لَا يَنْفَكُّ عَنْكَ لَحْظَةً فَارْمِهِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى؛ وَالِاسْتِعَاذَةِ مِنْهُ؛ وَادْحَرْهُ بِاسْتِغْفَارِكَ؛ وَأَغِظْهُ بِتَوْبَتِكَ وَنَدَمِكَ؛ قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي بَدَائِعِ الْفَوَائِدِ: (ذِكْرُ اللَّهِ يَقْمَعُ الشَّيْطَانَ وَيُؤْلِمُهُ وَيُؤْذِيهِ؛ كَالسِّيَاطِ وَالْمَقَامِعِ الَّتِي تُؤْذِي مَنْ يُضْرَبُ بِهَا؛ وَلِهَذَا يَكُونُ شَيْطَانُ الْمُؤْمِنِ هَزِيلًا ضَئِيلًا مُضْنًى؛ مِمَّا يُعَذِّبُهُ وَيَقْمَعُهُ بِهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ)، وفي مسند الإمام أحمد بسند حسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيَاطِينَهُ؛ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ فِي السَّفَرِ))، فَعَدَاوَتُنَا مَعَهُ مُسْتَمِرَّةٌ بِاسْتِمْرَارِ الدُّنْيَا؛ قَالَ اللَّهُ في سورة فاطر: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)). وَإِنْ فَاتَكَ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ فَعُمْرُكَ نِصْفُهُ لَيَالٍ وَمَا أَكْثَرَهَا؛ فَقِفْ لِلَّهِ فِيهَا خَافِتًا مُنَاجِيًا، وَقُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَذَلِّلًا بَاكِيًا؛ قال تعالى في سورة الزمر: ((أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ))؛ فَقِيَامُ اللَّيْلِ شَرَفُ الْمُؤْمِنِ وَرَفْعٌ لِدَرَجَتِهِ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((مَنْ قَامَ بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنَ الْمُقَنْطِرِينَ))؛ وَمَنْ فَاتَهُ شَرَفُ الْإِقَامَةِ فِي مَكَّةَ وَقَدَاسَةُ مَشَاعِرِهَا؛ فَمَتَى لَبِسْتَ ثَوْبَ الْخَشْيَةِ، وَتَدَثَّرْتَ لِبَاسَ التَّقْوَى، فَكُلُّ أَرْضٍ تَطَأُهَا شَرِيفَةٌ، وَكُلُّ تُرَابٍ تَمْشِي عَلَيْهِ كَرِيمٌ، نَاهِيكَ عَنْ بُكَاءِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ عَلَيْكَ عِنْدَ مَوْتِكَ؛ قَالَ اللَّهُ تعالى في سورة الدخان: ((فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ)). أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. ومن الأعمال التي تعدل أجر الحج والعمرة برُّ الوالدين؛ فقد روى الطبراني والبيهقي عن أنس رضي الله عنه: أنَّه أتَى

رجلٌ إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فقال: ((إني أشتهي الجهاد وإني لا أقدر عليه، فقال له الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم: هل بَقِي أحدٌ من والديك؟!، قال: أُمّي، فقال له رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: فاتَّقِ الله فيها، فإنْ فعلتَ فأنت حاجٌّ ومُعتمِر ومُجاهد)). وروى البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ((ما مِن ولدٍ بارٍّ ينظر إلى والديه نظرة رحمة. إلاّ كتب الله له بكلّ نظرة حجّة مبرورة. قالوا: وإن نظر كلّ يوم مائة مرّة؟ قال: نعم. الله أكبر وأطيب)). فالله أكبر. ما أعظم هذا الأجر والثواب، كيف لا ورضاهما من رضى رب الأرباب.

تـأذّن الله فـي قـرآنـه (وقضى) * لـبّيك لـبّيك يـا رب الـبريـاتِ

إن أحـرم الوفـد بالميقات للحرم * جعلـتُ بِرّك يا أُمّاه ميقـاتي

أو طوّفوا حول بيت الله وابتهلوا * جعلـتُ فيكِ طوافي وابتهالاتي

أو كان بين الصفا والمروِ سعيهمُ * جعلتُ نحو رضاكِ كل مسعاتي

أو يمّموا عـرفـات الله والـتـزموا * بـاب الإله لـزمتُ باب مـولاتي

يا كعبتي ومُنى عمرى ويا حرمي ** أحرمـتُ فيكِ فلا كانت تحلاّتي

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. قَدْ يَعْجِزُ الْمُسْلِمُ عَنْ أَدَاءِ الْحَجِّ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الْعُمْرِ؛ لَكِنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى أَجْرِ حَجَّاتٍ كَثِيرَةٍ وَعُمَرٍ أَكْثَرَ، لَا أَقُولُ فِي عُمْرِهِ كُلِّهِ، بَلْ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ، فَاحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ. وها هي أعظَمُ عشرة أيَّام في العام كله، عن قريب تحلّ بنا. إنها أيام الْعَشْرِ الأَوَائِلِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ. وهذه الأيَّام ليست للحجَّاج فقط، بل إنّها لعموم الأمَّة؛ حتى يعيش المسلِمون مع إخوانهم الحجاج الجوَّ الإيماني الذي يَعِيشونه فإنَّنا مأمورون بالتشبُّه بالحجَّاج في أعمالهم الظاهرة ومن باب أَوْلى في مقاصد أعمالهم؛ فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه عَنِ

ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم:((مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ. يَعْنِي أَيَّامَ الْعَشْرِ. قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: وَلا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله. إِلا رَجُلاً خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ)). وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال:((ما من أيّام أعظمُ عند الله ولا أحبّ إليه من العمل فيهنّ من هذه الأيّام العشر. فأكثروا فيهنّ من التّهليل والتّكبير والتّحميد)). وروى الترمذي وابن ماجه والبيهقي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:((مَا مِنْ أَيّامٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ أَنْ يُتَعَبّدَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَشْرِ ذِي الْحِجّةِ ، يَعْدِلُ صِيَامُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهَا بِصِيَامِ سَنَةٍ وَقِيَامُ كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْهَا بِقِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ)). فسبحان من جَعَلَ لِكُلِّ عبدٍ في طاعته. عِوَضاً عمّا يَخْرُجُ عن إرادته، فأبوابَ الخيرِ في عَشْرِ ذي الحِجَّةِ مُتَعدِّدَةٌ، وميادينَ التَّسابُقِ إلى الفضائِلِ فيها مُتَجدِّدَةٌ، والمبادرة المبادرة بالعمل، قبل أن يندم المفرِّط على ما فعل، فطوبَى لِمَنِ اغتنَمَها بالجِدِّ والتشميرِ والعَمَلِ، وتجنَّبَ التوانِيَ والدَّعَةَ والكسَلَ، ((وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)). ((وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ)). ((وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ)). جعلني الله وإيّاكم مِمَّن اشتغل بالعمل الصالح في هذه الأوقات. وأجزل اللهُ له الأجر والمثوبات. وتقبَّل منَّا الدعوات. وجعلنا ممّن نظر إليهم بعين الرضى في الحياة وبعد الممات. فنالوا بذلك أعلى الدرجات. في جوار سيّد السادات. وشفيع المخلوقات. سيّدنا ومولانا محمّد. عليه من ربّه أفضل الصلوات. وأزكى التسليمات. وأعطر التحيّات المباركات. اللهمّ اجعلنا من المستمعين الممتثلين. ووفّقنا اللهم إلى ما تحبّ وترضى. وملّكنا اللهمّ أنفسنا ولا تسلّطها علينا. وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها. ونجّنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. إنّك على كلّ شيئ قدير. اللَّهُمَّ اكتبْ لَنَا حَجَّ بيتِكَ الحرامِ. وزيارةَ حبيبِكَ المصطفَى عليهِ الصلاةُ والسلام. في العام القابل إن

شاء الله. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ